

إِضَاءَاتِ حَوْلِ حَدِيثِ (أَمْرٌ أَنْ
أَقَاتِلَ النَّاسَ....)

م.م. بهزاد كريم وهاب

نص الحديث

● عَنْ ابْنِ عُمَرَ (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ.)

× أولاً صحة الرواية :

× الرواية صحيحة ، وصرح السيوطي بتواترها.

× ثانياً وجه الاستدلال :

× هذه الشبهة أيها القارئ الكريم تدور حول جملة واحدة فقط، فإن تم توضيحها فقد تم توضيح الحديث كله، ألا وهي (أَمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ)، قال الطاعنون في هذه الرواية، أن النبي عليه الصلاة والسلام حارب جميع الناس، لأن كلمة (الناس) عامة وليست خاصة، و هنا تبين الجهل باللغة العربية و الفهم السقيم للحديث.

ثالثاً كشف اللبس عن الحديث :

إذاً كما قلت فالشبهة مدارها حول (أمرتُ أن أقاتلَ النَّاسَ)، و السؤال المهم هو كالتالي : هل هذا الحديث عام ؟

الجواب :

لا، ليس عاماً، فكلمة الناس عامةٌ إلا أنها تفيد الخاص، و يتضح لنا من خلال هذه الآيات التي سأورد أن كلمة الناس تفيد الخاص أيضاً :

قال الله عز و جل : (وَأَدِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا) [الحج:27]، فهل كل الناس مسلمون حتى يذهبوا إلى الحج ؟ طبعاً لا، فالناس هنا تفيد المسلمين فقط.

قال الله عز و جل : (وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ) [آل عمران:46]، هل عيسى عليه السلام كلَّم كل الناس ؟ لا، فقط بني إسرائيل و بالضبط الذين حاوروا مريم عليها السلام و اتهموها بالزنى.

قال سبحانه و تعالى : (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا) [النساء:54] يعني، هنالك أناس حسدوا ناس آخرين.

و قال الحق سبحانه : (يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعَ عَجَافٍ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعَ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ) [يوسف:46]، فهل سيرجع إلى كل الناس ؟ لا، إلى العزيز و من معه.

و أختتم بقول الله عز و جل : (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) [آل عمران:173]، و هذه الآية توضح لنا جيداً، مما لا يدر شكا أن لفظ الناس لا يراد به دائماً العموم.

■ إذاً علمنا أن الحديث قد لا يفيد العموم، فما الذي يدل أنه فعلاً خاص بعد أن بيّنا أن كلمة (الناس) قد تفيد الخاص.

أ - الدليل العقلي :

المسلمون بلا شك غير داخلين في الحديث لأنهم يشهدون أن لا إله إلا الله عز و
جل (إذن خرج المسلمون من لفظ الناس) ، أيضا المعاهد و الذمي خارجان من
الحديث (إذن خرجا من لفظ الناس) طبقاً للأخبار الصحيحة التابئة عن النبي صلى
الله عليه و سلم :

عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - : قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « من قتل مُعَاهِدًا لم يَرَحْ رائحة الجنة ، وإنَّ ريحها يوجدُ من مسيرة
أربعين عاماً » . (2)

عَنْ الْأَشْعَثِ بْنِ ثُرْمَلَةَ ، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
(مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهِدَةً بغيرِ حِلِّهَا ، حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ أَنْ يَشُمَّ رِيحَهَا .) (3)

ب - الدليل النقلى :

قال الحافظ ابن حجر السعقلانى - رحمه الله - :
تَالْتَهَا : أَنْ يَكُونَ مِنَ الْعَامِّ الَّذِي أُرِيدَ بِهِ الْخَاصُّ ، فَيَكُونُ الْمُرَادُ بِالنَّاسِ فِي قَوْلِهِ " أَقَاتِلَ
النَّاسَ " أَي : الْمُشْرِكِينَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الْكِتَابِ ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ رِوَايَةُ النَّسَائِيِّ بِلَفْظِ " أَمَرْتُ أَنْ
أُقَاتِلَ الْمُشْرِكِينَ " . (4)

إذا كما قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في شرحه للحديث أنه خاص بالمشركين غير أهل
الكتاب، و ذلك على ذلك رواية النسائي رحمه الله :

أَخْبَرَنَا هَارُونُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ بَكَّارِ بْنِ بِلَالٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَيْسَى وَهُوَ ابْنُ سُمَيْعٍ قَالَ حَدَّثَنَا
حُمَيْدُ الطَّوِيلُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (قَالَ أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ
الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَإِذَا شَهِدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَصَلُّوا صَلَاتِنَا وَاسْتَقْبَلُوا قِبْلَتِنَا وَأَكَلُوا دَبَائِحَنَا فَقَدْ حَرُمَتْ عَلَيْنَا
دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا) (5)

إذن هنا تبين لنا أن لفظ الناس في الحديث خاص بالمشركين و ليس عامًا، و بقى السؤال
الأهم، مَنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِقَاتِلِهِمْ ؟، هذا ما سأطرق
إليه في النقطة الرابعة.



رابعاً مَنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِقِتَالِهِمْ؟

للجواب على هذا السؤال حتى ننفذ شبهة هذا الحديث (أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ) يكفي سرد بعض الآيات و أقوال أهل العلم رحمة الله عليهم.

قال رسول الله (أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ)، إذن فهو مأمور، و لا يأمره إلا الله عز و جل، قال سبحانه و تعالى: (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) [البقرة:190]، إذن هم من قاتلوا رسول الله و المؤمنين فأمره الله عز و جل بقتالهم و أمرنا بأن لا نعتدي، لو لم يبدؤوا بالقتال لما قاتلهم رسول الله صلى الله عليه و سلم.

قال عز و جل: (أَلَا يُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَوُكُمْ أَوْلَ مَرَّةٍ أَخَشَوْنَهُمْ فَإِنَّهُمْ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) [التوبة:13]، إذا فهم من بدؤوا، و قال الله عز و جل: (وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً) [التوبة:36]، أيضا هم بدؤوا.

إذا هؤلاء المقاتلين منهم، فماذا قال عز و جل في غير المقاتلين من المشركين؟
قال سبحانه و تعالى: (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ) [التوبة:6]، أي إذا استأمنك أحد المشركين فأعذه و آمنه. و قال تعالى: (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) [المتحنة:8]، إذا الذين لا يقاتلوننا يجوز أن نبرهم نقسط إليهم.

• قال ابن العربي المالكي - رحمه الله - :
(قوله تعالى (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ) عامٌّ في كل مشرك ، لكنَّ السَّنةَ خَصَّتْ
منه من تقدم ذكره قبل هذا من امرأة ، وصبي ، وراهب ، وحُشوة [وهم
رذال الناس ، وتبعهم ، ومن لا شأن له فيهم] ، حسبما تقدم بيانه ، وبقي
تحت اللفظ : مَنْ كان محارباً أو مستعدّاً للحرابة والإذاية ، وتبيّن أن المراد
بالآية : اقتلوا المشركين الذين يحاربونكم) (6)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - :
(وقول النبي صلى الله عليه وسلم (أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَيَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ) مراده : قتال
المحاربين الذين أذن الله في قتالهم ، لم يُرد قتال المعاهدين الذين أمر الله بوفاء
عهدهم) . (7)

وقال - رحمه الله - أيضاً - :
(القتال هو لمن يقاتلنا إذا أردنا اظهر دين الله ، كما قال الله تعالى (وَاقْتُلُوا
فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) البقرة /
190) . (8)

• ويدل لذلك أيضا ما ثبت عن بُرَيْدَةَ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ثُمَّ قَالَ ... وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ فَأَيُّهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَأَقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَإِنْ أَجَابُوكَ فَأَقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ ... فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلِّهِمُ الْجَزِيَّةَ فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَأَقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَقَاتِلْهُمْ ...) .

رواه مسلم (1731) . (9)

• خلاصة:

إنَّ حديث (أمرت أن أقاتل الناس...)، حديث خاص بالمشركين العرب الذين مَنَعُوا انتشار الدعوة، والمحاربين منهم، كما بَيَّنَّتْ أَنْفَاءً سِوَاءَ مِنَ الْآيَاتِ أَوْ الْأَحَادِيثِ أَوْ أَقْوَالِ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَبِهَذَا تَكُونُ هَذِهِ الشَّبَهَةُ وَاهِيَةً وَتَمَّ الرَّدُّ عَلَيْهَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرِثَتِهِ.